٢ ـ الصيد في الأدب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

يصف لبيد صيد بقرة وحشية تخلفت عن القطيع تطلب ولدها وقد أكلته الذئاب، ثم لجأت إلى شجرة مفردة في الرمال في ليلة مظلمة ماطرة. ولما أسفر الصبح شرعت تعدو حائرة، فظلت سبعة أيام حتى يئست من ولدها وقطيعها، فسمعت حس الإنس فخافت وترددت بها الحيرة بين العدو أمام وخلف. وأرسل الصيادون كلابهم فكانت معركة قتل فيها كلب وفرت البقرة. وهي أبيات جيدة لا يملك قارئها إلا الإشفاق والحزن لهذه البقرة وولدها.

وهذه أبيات للنابغة الذبياني يصف معركة بين الثور والكلاب، وهي تشبه في الصورة العامة أبيات لبيد:

كأنما الرحل منها فوق ذي جُدَد ... ذئبٌ الرياد إلى الأشباح نظّار

مُطرَّد أفردت عنه حلائله

من وحش وَجرة أو من وحش ذي قار

مجرّس، وحَدَ جأب أطاع له ... نبات غيث من الوسمي مِبكار

بَبرانه ما خلا لبانه لمَق ... وفي القوائم مثل الوشي بالقار

باتت له ليلة شهباء تسفعه ... بحاصب ذات إشفان وإمطار

وبات ضيفاً لأرطاة وألجأه ... مع الظلام إليها وابل سار

حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته ... وأسفر الصبح عنه أي إسفار

أهوى له قانص يسعى بأكلبه ... عاري الأشاجع من قُنّاص أغمار

محالف الصيد هبّاش له لحِم ... ما إن عليه ثياب غير أطمار

يسعى بغُضف براها فهي طاوية ... طولُ ارتحال بها منه وتسيار

حتى إذا الثور بعد النفر أمكنه ... أشلى وأرسل غُضفاً كلها ضار

فكرّ محمية من أن يفر كما ... كرّ المحامي حفاظاً خشية العار

فشك بالروق منه صدر أولها ... شك الشاعب أعشاراً بأعشار

ثم انثنى بعد للثاني فأقصده ... بذات ثغر بعيد القعر نهار

وأثبت الثالث الباقي بنافذة ... من باسل عالم بالطعن كرار

وظل في سبعة منها لحقن به ... يكرّ بالروق فيها كرّ أسوار

حتى إذا ما قضى منها لبانته ... وعاد فيها بإقبال وإدبار

انقض كالكوكب الدري منصلتاً ... يهوي ويخلط تقريباً بإحضار

لا يتسع المقال لتفصيل الصورة التي صورها النابغة وتفسير الألفاظ فحسبي أن أبين الصورة إجمالاً:

في الأبيات الأربعة الأولى شبه الشاعر ناقته بثور وحشي، ووصف لون الثور في ظهره وقوائمه: ظهره أبيض وفي قوائمه خطوط سود، وبين أنه قوي سمين قد رعى نبات الوسمي، وأنه أقرد عن البقر فهو نفور قلق

وفي الأبيات الثلاثة التالية بيّن أن المطر والريح ألجأا الثور إلى شجرة من الأرطي فبقي عندها حتى الصباح

وفي الأبيات الأخرى وصف الصائد وكلابه وما وقع بين الثور والكلاب العشرة؛ قتل الثور منها ثلاثة، ودفع السبعة التي لحقت به حتى:

انقض كالكوكب الدري متصلتاً ... يهوي ويخلط تقريباً بإحضار

ثم أراد وصل الكلام بأوله فرجع إلى ذكر الناقة قائلاً:

فذاك شبه قلوصي إذ أضرّ بها

طول السُّرى والسرى من بعد أسفار

وينتهي الوصف بنجاة الحيوان لأن مقصد الشاعر أن يشبه ناقته به وهو يجد في الهرب، إلا أبا ذؤيب ومن نهج نهجه فهم يختمون المعركة بقتل الحيوان لأن قصدهم أن يبينوا أن حوادث الدهر تنال حتى هذا الحيوان الوحشي القوي السريع

وقد وصف أحيحة بن الجلاح صيد الظباء والأرانب بالكلاب وأثبت الجاحظ قصيدته في كتاب الحيوان[1]

في العصور الإسلامية

أباح الإسلام الصيد وأحل لحم الحيوان الذي يقتله السهم أو كلب الصيد. وفي القرآن الكريم: «اليوم أحل لكم الطيبات، وما علّمتم من الجوارح مكلّبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم، واذكروا اسم الله عليه»

(١) انظر كتاب الحيوان ج٢.